
أسماء الله الحسنى
11
العظيم
الغفور
الشكور
بقلم: د. وجيه يعقوب السيد
إشراف: أ. حمدي مصطفى

العَظِيمُ

عِنْدما ينْظرُ الْمَرْءُ إلى هذا الْكونِ الْكبيرِ ، ويُمْعِنُ النَّظَرَ فى النُّجومِ والْكواكِبِ والْبحارِ والأَنهارِ ، وما ظهَرَ لِعَيْنَيْهِ من مختَلف الْكائنات ، لا يَملكُ إلا أنْ يَعْتَرِفَ بِعَظَمَةِ الْخالقِ عزَّ وجَلَّ ويُقِرَّ بِقُدْرته الْمُطْلَقَةِ . هذا بالنِّسْبَةِ لما نَراهُ ونعْرِفهُ ، فما بالُنا بما لا نراه ولَمْ نهْتَدِ إليْهِ إلى الآن ؟ فَسُبْحانَ اللَّه الْعظيمِ الذى تُشِيرُ كلُّ الدَّلائِلِ إلى عَظَمَتِه وتؤكِّدُ قُدْرَتَهُ وهَيْمَنَتَهُ وإِحْكامَ قَبْضَتِه على كلِّ خَلْقه .

فلا يتمُّ شَيْءٌ فى الأَرْضِ ولا فى السَّماء ولا بَيْنَهُما إلا بإذْنِه ، فهو ذُو الْعَظَمةِ والْجَلال ، الْمُتعالِى بعَظَمَتِه على كلِّ عَظيمٍ ، فلا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ ولا يَخْرُجُ عنْ حُكْمِه أحدٌ

إلاَّ بحكْمَته وقُدْرَته .

ولَعلَّ المتأمِّلَ فى آيةِ الْكُرْسىِّ ـ والتى يَعْتَبِرُها كثيرٌ من الْعُلماء أعْظَمَ آيةٍ فِى الْقرآن ـ يمْكِنُ أنْ يقفَ على بَعْضِ أسْرارِ اسْمِه (تعَالَى) الْعَظِيم ، فهو جلَّ شأنُهُ ما لكُ كلِّ شىْءٍ ، مُسَيطرٌ على كلِّ شَىءٍ ، لا يَغيبُ عَنْ علْمه شَىْءٌ ، قالَ (تعالَى) : ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِىُّ الْعَظِيمُ ﴾ . (البقرة : ٢٥٥)

والْمسلمُ حينَ يعْرفُ معنى اسْمه (تعالَى) الْعَظِيمُ حقَّ الْمَعْرِفَة ، يعيشُ فى أمانٍ وراحةٍ وسكِينَة ، لأنَّ اللَّهَ الْعَظِيم هو الذى يُدَبِّرُ الأُمورَ ، ويَحْمى الإنْسانَ منْ كُلِّ الشُّرُورِ ، وعلى قَدْرِ عَظمته يكونُ عطاؤهُ للإنْسانِ بلا حُدُود ، فالْعظيمُ يُعْطى على قَدْرِ عظمته ، ويَعْفُو عَنِ الذُّنوبِ على قَدْرِ قوَّته ،

ولذلك فإنَّ الإنسانَ مهْمَا فعَل أو ارْتكبَ منْ ذُنوبٍ ، إذا عادَ إلى ربِّه وتابَ إليْه كانَ عفوُ اللَّه أعْظمَ من هذه الذُّنوب . يقولُ الشَّاعرُ :

ولـمَّـا قسَا قلْبى وضاقَتْ مَذاهِبى جعَلْتُ الرَّجَا منِّى لِعفْوِكَ سُلَّمَا
تَعَـاظَمَـنى ذَنْبِى فلمَّـا قَـرنْتُـهُ بعَفْوِكَ ربِّى كان عَفْوُكَ أعْظَمَا

ولأنَّ الإسْلامَ حرصَ على أنْ يغْرِسَ فى قُلُوبِ الْمسلمينَ هذه الْمعانِىَ التى تُقَرِّبُنَا إلى اللَّه على وعىٍ وبَصيرةٍ ، فقدْ أَمرنا الرسول ﷺ أنْ نقولَ فى رُكُوعنا : «سبحان ربِّىَ الْعَظيم» ثلاثَ مرَّات ، وذلك حتى لا نَنْسَى هذا الْمَعْنى ولا يَغيبَ عنْ أذْهاننا أنَّنا نركَعُ ونَسْجُدُ ونُصلِّى لِربٍّ عَظيمٍ ، لا يسْتَحِقُّ الرُّكُوعَ ولا السُّجودَ إلا هوَ (سُبْحَانَهُ وتعالَى) .

وكان الرَّسولُ ﷺ إذا أصابَهُ مَكْرُوهٌ أو شَعَر بضيقٍ دَعَا ربَّهُ بقَـوْله : «لا إله إلاَّ اللَّهُ الْعظيمُ الْحَليمُ ، لا إله إلا اللَّهُ ربُّ العَرْشِ الْكَريمِ» .

كما أمرَنَا الرسُولُ ﷺ إذا دخَلْنَا على مَريضٍ للاطْمئْنانِ عليْه أنْ ندعُوَ اللَّهَ الْعظيمَ أنْ يَشْفِيَهُ بهذه الصِّيغَةِ : «أسألُ اللَّه

الْعظيمَ رَبَّ الْعَرشِ الْعظيمِ أنْ يَشْفِيَكَ» ، وما أجمل أنْ يلْجَأَ الإنسانُ بالدُّعاء إلى الله الْعظيمِ وقْتَ الشّدَّة فَيُزيل الْكَرْبَ والشّدَّةَ .

ولا شكَّ أَنّ اللَّهَ الْعظيمَ هو وحْدَهُ الْمُسْتَحِقُّ لهذا الْوَصْف ، لأنَّهُ (تعالَى) هو الذى يُعْطى ويَمْنَعُ ، ويَهَبُ ويَنْزَعُ ، ويَقْدرُ ويَعْفُو ، أما الإنْسانُ فلكَىْ يستحقَّ مكانةً عظيمة عندَ اللَّه ، فإنَّ ذلك يكونُ بالْعلْم والإيمان . قال (تعالَى) : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنوا مِنكُمْ والَّذِين أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَات ﴾ .

(المجادلة : ١١)

وقدْ وردَ عنْ رسولِ اللَّه ﷺ قولُهُ : «مَنْ تعلَّمَ وعلَّمَ وعَمِلَ ، فذلك يُدْعَى فى مَلَكُوتِ اللَّهِ عَظيماً» .

فالإنْسانُ يصِلُ منْ خلالِ الْعِلْمِ النَّافع إلى أعْلى الدَّرجات ، ويكُونُ ـ كما أَخْبَرَ بذلكَ الرَّسولُ ﷺ ـ عظيمًا بعلْمه وعَمَله ، وماعدا ذلكَ فلا يُدْعَى عَظيمًا مَهْما كانَ مالُهُ وسُلْطانُهُ ، والْعِلمُ النَّافعُ هو ما يُفيدُ الإنْسانَ فى دينه ودُنياهُ ، فعِلْمُ الطَّبيعَةِ والْكيمياء والطِّبُّ وغيرها من

الْعُلومِ النَّافعَة للإنْسان لأَنَّها توفِّرُ الرَّاحةَ والسَّعادة للإنْسـان ، وعُلُومُ الدِّين كـالْفِقْـه والتَّفْسِير وعُلومِ الْحديثِ من الْعُلومِ النَّافعَة لأنها تُبَصِّرُ الإنْسانَ بالْحلالِ والْحرامِ .

وهذه الأَحْكامُ جَميعُهَا قدْ فصَّلهَا اللَّهُ فى قُرآنه الكريم ، وقدْ وَصَفَهُ اللَّهُ (تعالَى) بأَنَّهُ قرآنٌ عظيمٌ ، عَظِيمٌ فى مَعَانيه التى لا تنْتَهى ، عَظيمٌ فيما يقدِّمُهُ للإنْسانِ من تفْسير لوُجوده والْغاية مِنْ خَلْقه ، عظيمٌ فيما يَمْلأُ به قلْبَ المؤْمنِ مِنْ نورٍ وسَكينةٍ وخُشُوع .. عَظيمٌ لأَنه كلامُ اللَّه العْظيمِ ، الذى تتجلَّى عظَمَتُهُ فى كلِّ شْىء ، قال (تعالَى) : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثانى والْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ . (الحجر : ٨٧)

نسألُ اللَّهَ العظيمَ رَبَّ الْعرشِ الْعظيمِ الذى أَنْزلَ إلينا الْقرآنَ الْعظيمَ بالْحقِّ أَنْ يُعلِّمَنَا ما ينفعُنَا وأَنْ يعفُوَ عن ذُنُوبِنا إنه هو الْعفُوُّ الْغَفُورُ .



كانَ صَحابةُ الرَّسولِ ﷺ يتعامَلونَ معَ الْقرآنِ الْكريمِ بشكْلٍ عَميقٍ ، فلا يَمُرُّونَ على الآياتِ دُونَ أَنْ يَستخرِجوا منها حِكْمَةً أَوْ عِبْرةً تستَقيمُ بها حياتُهُمْ ، ومِنْ ذلكَ أنهمْ كانوا يتحاوَرُونَ فيما بَيْنَهُمْ عنْ أَرْجَى آيَةٍ في الْقُرآنِ ؛ أي الآيَةِ التي تَفْتَحُ بابَ الرَّجاءِ أمامَ الإنْسانِ . فقالَ بعْضُهُمْ : أَرْجَى آيَةٍ في الْقرآنِ هي قولُه (تعالَى) : ﴿ وإِذْ قَالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى ولَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ .

(البقرة : ٢٦٠)

وعِنْدَما جاءَ الدَّوْرُ على عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعودٍ قَالَ : إِنَّ أَرْجَى آيَةٍ في كِتابِ اللَّهِ هي قولُهُ (تعالَى) : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ

الَّذِين أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

(الزمر : ٥٣)

فَهذه الآيَةُ تَفْتَحُ بابَ الرَّجاءِ أمامَ الْمُذْنبين والْعَاصِينَ ، فاللهُ (تعالَى) برغْمِ إسْرافهمْ فى الذَّنْب ، لَمْ ينفِ نسْبَتهمْ إلَيْه فقالَ عنْهُمْ « عِبَادى » ، وبرَغْمِ إسرافِهم فى الذَّنْب أمَرَهمْ ألاَّ ييْئَسُوا منْ رَحْمته ، لأنَّ رحمَتَهُ وسعَتْ كُلَّ شىْء ، وبرَغْمِ إسْرافهم فى الذَّنب فإنهُ يغْفرُ الذُّنوبَ جَميعًا ، بشَرْط أنْ يُقْلِعَ الإنْسانُ عَنِ الذَّنْب ويعودَ إلى الصَّواب ، وفى الحديث الْقُدْسىِّ يقولُ اللَّهُ (تعالَى) : «يا بْنَ آدمَ إنكَ ما دعَوْتَنى ورجَوْتَنى غَفَرْتُ لكَ على ما كانَ منكَ ولا أُبالى ، يا بْنَ آدمَ إنكَ لوْ بلغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السماء ثم استغْفَرْتَنى غَفَرْتُ لك ، يا بْنَ آدَم إنكَ لوْ أتَيْتَنى بقُراب الأَرْضِ خطَايَا ، ثمَّ لَقيتَنى لا تُشْرِكْ بى شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بقرابها مَغْفرَةً» (رواه الترمذى)

إنَّ اللهَ (تعالَى) هو الْغَفورُ ذُو الرَّحْمة ، وهوَ كثيرُ الصَّفْح والْغُفْران ، يعْفُو عنْ عباده الْمُذْنبين ويتجاوزُ عنْ سَيِّئَات الْمُسيئينَ ، فإذا ما أذْنَبَ الْعَبدُ ، ثم استغفَرَ ربَّهُ

وأنابَ وَجَدَ مغفرةً من اللهِ ورَحْمَةً .

إنَّ الآياتِ القُرآنيَّةَ والأحاديثَ النَّبويَّةَ الشَّريفةَ التى تتحدَّثُ عنْ مغفرةِ اللهِ وعَفْوِه كثيرةٌ جدًّا ، وهى تتَّسمُ بالرِّقَّةِ والعُذُوبَةِ والسَّكينةِ ، عنْدَمَا يقرَؤُها الإنْسانُ تسكُنُ نَفْسُهُ وتَطْمئنُّ رُوحُهُ وتَخْشَعُ كلُّ جوارِحه ، لأنها تُخاطِبُ عَقْلَهُ وَوِجْدَانَهُ وتُحرِّكُ كلَّ مَشَاعِره ، فهى تضَعُ الإنْسانَ أمامَ مَسْئُوليَّتِه وخياراته . فإذا كانَ اللهُ يُحبُّ عبادَه إلى هذه الدَّرجَةِ ، يُحبُ لهُمُ الْهدايَةَ والاسْتقامَةَ والتَّوْبَةَ ؛ فكَيْفَ لا يُقَدِّرُ الإنْسانُ كلَّ ذلك ، فيَتكبَّرُ ويَعْصِى رَبَّهُ وزيادةً على ذلكَ يُجاهِرُ بالْمَعْصِيَةِ ؟!

لقدْ علَّمنا الرَّسولُ ﷺ أدْعيَةً كثيرةً للاسْتغْفارِ ، وسَيِّدُ الاسْتِغْفارِ هو قولُهُ ﷺ : « اللَّهُمَّ أنْتَ ربِّى لاَ إلَهَ إلاَّ أنْتَ ، خَلَقْتَنى وأنا عَبْدُكَ وأنا عَلَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ ، أعُوذُ بكَ منْ شَرِّ ما صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بنعْمَتِكَ علَىَّ ، وأَبُوءُ بذَنْبِى فاغْفِرْلى ، فإنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنْتَ » .

وجاءَ أبو بكْرٍ الصِّديقُ لرسولِ اللهِ ﷺ يسألُهُ أنْ يُعلِمَهُ

دعاءً يَدْعُو به ربَّه ، فقال له رسولُ ﷺ : «قُلِ :
اللّهُمَّ إني ظَلَمتُ نفْسى ظُلْمًا كثيرًا ، وإنَّهُ لا يَغْفِرُ
الذُّنوبَ إلا أنْتَ فاغْفِرْ لِى مَغْفِرَةً من عِنْدكَ ، وارْحَمْنى إنكَ
أنْتَ الْغَفُورُ الرَّحيمُ» .

وليس شَرْطًا أنْ تدعُوَ اللّهَ بأَدْعيةٍ مُعيَّنة ، فقدْ تحتاجُ إلى
الدُّعاء وأنْتَ لا تَحْفَظُ أدْعيَةً مُعَيَّنَةً ، وفى هذه الْحالة عليْكَ
أنْ تدْعُوَ بما فى نَفْسكَ ، وبأىِّ صيغَةٍ مِنَ الصِّيَغِ ، وذلك بعْد
أن تتحقَّقَ فيكَ شُرُوطُ الدُّعاءِ وهى الْخُشُوعُ للّه والصِّدْقُ
ى الدُّعاءِ والْيَقينُ فى قُدْرَةِ اللّه (تعالَى) علَى إجابة الدُّعاء .

على أنه يُسْتَحَبُّ للْمُسلمِ أنْ يَحْفَظَ مَجْمُوعَةً من أَدْعية
الرسولِ ﷺ لِكَىْ يدعُوَ بها ، لأن الرسولَ ﷺ هو الْمثالُ الذى
يُحتَذَى فى الصِّدْق وفى الْبلاغَة فقدْ أُوتىَ جَوامعَ الْكَلمِ ، ومِنْ
أَدْعيَته الشَّاملَة الْجامعة قولُهُ : «اللّهُمَّ اغْفرْ لى خَطيئَتى
وجَهْلى وإسْرافِى فى أَمْرِى ، وما أَنْتَ أَعلَمُ به منِّى ، اللّهُمَّ
اغْفرْ لى جِدِّى وهَزْلى ، وخطَئى وعَمْدى وكلُّ ذلك عنْدى ،
اللهُمَّ اغْفرلى ما قدَّمْتُ وما أخَّرْتُ وما أسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ ،

ومـا أنتَ أعْلمُ به منْى ، أنتَ الْمـقـدمُ وأنْتَ الْمؤخِّرُ ، وأنت على كلِّ شىءٍ قديرٌ» (رواه البخارى)

والذى يتأمَّلُ سيرَةَ الرَّسولِ ﷺ يرى أنهُ كان يُداوِمُ على الاسْتغفار باللَّيل والنهارِ ، برغم أنَّ ربَّه قد غفر له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخَّرَ ، قال (تعالى) : ﴿إنَّا فَتحنَا لكَ فتحًا مُبينًا * ليَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ويُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ . (الفتح : ١ ، ٢)

وعنْدَما كانت السَّيدةُ عائشَةُ تراهُ يُصلِّى ويُكْثِرُ منْ قيامِ اللَّيل حتى تتورَّمَ قدماهُ ، كانت تُشْفقُ عليْه وتطْلُبُ منْهُ الرَّاحةَ فقدْ غفرَ اللَّهُ له ذنْبَهُ ، ولكنَّ الرَّسولَ ﷺ كان يقولُ : «يا عائشَةُ ، أفلا أكُونُ عبْدًا شكُورًا» .

فصلواتُ ربِّى وسلامُهُ عليْكَ يا سيِّدى يا رسُولَ اللَّه ، اللهُمَّ آت مُحمدًا الْوسيلَةَ والْفضيلَةَ ، وارْفعْهُ اللَّهُمَّ المقامَ الْمحمودَ الذى وعَدْتَه إنَّكَ لا تُخْلفُ الْميعادَ ، واغْفرْ لنا ما أسْررْنا وما أعْلنَّا وما أنْتَ أعْلَمُ به منَّا .



مرَّ أحدُ النَّاسِ برجُلٍ قَعيدٍ كَفيفِ الْبصرِ فسَمِعَهُ يقُولُ :

ـ الْحمدُ للَّه ، الشُّكْرُ للَّه .

فاقْتَربَ منْه وقالَ :

ـ يا هذا إنَّ حالَتك تدْعُو إلى الرِّثاءِ والْحُزْنِ ، فعَلامَ تشْكُرُ اللَّهَ وتَحْمَدُهُ ؟

فأجَابَهُ الرَّجُلُ ، وابْتسامةٌ عريضةٌ تمْلأُ وجْهَهُ :

ـ إنَّنى أحْمَدُ اللَّهَ الذى جعَل لى قلْبًا ذاكِراً ، ولِسانًا شاكِراً وجَسَداً على الْبلاءِ صابِراً .

وهذا الرَّجُلِ الشَّاكِرُ ـ برغْمِ ظُرُوفِهِ الصَّعْبةِ ـ يَعْرِفُ جيداً مَنْزِلَةَ الشَّاكرين وجزاءَ الشُّكْرِ عنْدَ اللَّه (تعالَى)

الشَّكورِ ، الَّذى يُجَازى عبَادَهُ على أعْمَالِهِمْ - وإنْ قَلَّتْ - خَيْرَ الجَزَاءِ ، فَيرْفَعُ دَرَجَاتِهِمْ ويُعْلى مَنْزِلَتَهم ويغْفِرُ ذُنوبَهُم . فهو سُبْحَانَهُ و (تعالَى) الشَّكورُ الذى يَدُومُ شُكْرُهُ ويَعُمُّ فضْلُهُ ، فيُعْطى على كُلِّ عَمَلٍ صغيرٍ أوْ قليلٍ الكَثيرَ مِنَ النِّعَمِ والآلاءِ ، فهوَ الذى يُعْطى على الْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِها ويُضَاعِفُ لِمَنْ يشاءُ .

وشُكْرُ الْعَبْدِ لِرَبِّه ثناءٌ على اللَّه ، واعْتِرَافٌ منهُ بأنَّ الْمُتَفَضِّلَ عليه هو اللَّهُ ، فهو وحْدَهُ الذى خلقَ الإنْسانَ ويسَّر له سُبُلَ الْعيشِ ، ووَهَبَهُ السَّمعَ والْبصرَ والْفُؤادَ ، ومَنَحهُ الْعقْلَ والْحِسَّ والشُّعورَ ، فهو وحْدَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِمُطْلَقِ الشُّكْرِ . قالَ (تعالَى) :

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأبْصَارَ والأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تشْكُرُونَ ﴾ .

(النحل :٧٨)

كما وعَدَ اللَّهُ الشَّاكِرينَ بزيادَتِهِمْ ، سواءً كانَتِ الزِّيادَةُ فى الْمَالِ والصِّحَّةِ والنَّجَاحِ ، أو فى الْحَسَنَاتِ ورفْعِ الدَّرجَاتِ ، أو فى تَوْفيقِ الْعَبْدِ لِمَزيدٍ منَ الشُّكْرِ والطَّاعَةِ والإنابَةِ ..

قال (تعالى) : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ .

وأكثرُ النَّاسِ شُكْرًا للّه همُ الأنْبياءُ ، لأنَّهمْ أكثرُ الناسِ مَعْرِفَةً لقدْرِ اللّه (تعالَى) ، ولذلك كانوا شاكرين لأنْعُمِ اللّه عَلَيْهم ، مُعْتَرفِين بفضْلِ اللّه عَلَيْهم . فنَجدُ نَبِىَّ اللّه إبراهيم شاكرًا لأنْعُمِ رَبِّه ، قال عنْهُ رَبُّهُ : ﴿ إنَّ إبْراهيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّه حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لأنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإنَّهُ فِى الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . (النحل : ١٢٠ ـ ١٢٢)

كما نجدُ نبىَّ اللّه سُلَيْمانَ الذى آتاهُ اللّهُ الْمُلْكَ ، يَشْكُرُ رَبَّهُ فلا يَسْتَطِيعُ لِكَثْرَةِ نعَمِ اللّه عليْه ، فيطْلُبُ منْ ربِّه أنْ يُقْدِرَهُ على شُكْرِه وأنْ يُعينَهُ على ذلكَ ، قالَ (تعالَى) : ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ . (النمل : ١٩)

وكَانَ الرسولُ ﷺ كثيرَ الشُّكْرِ للّه وكان يقُولُ : أفلا أكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟ وحقًّا لَقدْ كَانَ رسولُ اللّه ﷺ عَبْدًا شكورا ، فى دُعائه وفى صَلاتِه وصِيامِه وقِيامِه ، فهو يعْلَمُ أنَّ اللّهَ (تعالَى)

أنْعَمَ عليْه بالرِّسالَة وجعَلَهُ خاتَمَ الأنْبياء والْمُرْسَلين ، وجعَلهُ شاهداً على النَّاسِ يومَ الْقيامَة ، كما جعلَ أُمَّتهُ خيْرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ للنَّاسِ ، وقدْ آتاهُ اللَّهُ الشَّفاعَةَ ، وكانَ فَضْلُ اللَّه عليه عَظيماً .. كلُّ ذلك كانَ يَعلمُهُ الرَّسولُ ﷺ ، ولذلكَ فقَدْ كانَ يَجدُّ ويتْعَبُ ويجتَهِد لكَىْ يُؤَدِّىَ ما عليه منْ شُكْرٍ للَّه (تعَالَى) .

وقد يَظُنُّ البَعْضُ أنَّ الشُّكْرَ مُجردُ كَلمة يقولُها أوْ تحيَّة يؤَدِّيها ، ولو كانَ الأَمرُ كذلكَ ما تَعبَ أحَدٌ ولفَقَدَ الشُّكْرُ مَعْنَاهُ ، ولكن الشُّكْرَ الْحقيقىَّ يكُونُ بالطَّاعَة والتَّقرُّب إلى اللَّه بالْعملِ الصَّالحِ والصَّدَقَة على الفُقَراء والْمساكينِ والإحْسَانِ إلى الضُّعَفاء والْمَرضَى ، ولذلكَ فإنَّ الشُّكْرَ دَائمًا يجبُ أنْ يَقْتَرِنَ بالْعَملِ الصَّالحِ الذى يتَقرَّبُ به الْعَبْدُ إلى ربِّه ، قالَ (تعَالَى) : ﴿ رَبِّ أَوزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِى إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ . (الأحقاف : ١٥)

ومنَ الآداب التى نَتعلَّمُها منْ هذا الاسْمِ الْجليلِ ، أنْ نشْكُرَ أَهْلَ الْفَضْلِ علينا ، فقدْ أمَرَنا الرَّسُولُ ﷺ

بأن نَعْتَرِفَ بالْفَضْلِ لأهْلِه فقالَ : «مَنْ لا يشْكُرِ النَّاسَ لا يَشْكُرِ اللَّهَ» . (رواه الترمذي)

يقولُ أبو حامد الْغزالي عَنْ شُكْرِ الإنْسَانِ لربِّه : «وأمَّا شُكْرُهُ للَّه فلا يَكُونُ إلا بِنَوعٍ من الْمَجَازِ ؛ فإنَّهُ إنْ أَثْنَى فثناؤُهُ قاصرٌ لأَنَّهُ لا يُحْصِي ثَناءً عليْه ، وإنْ أطاعَ فطاعَتُه نعْمَةٌ أُخْرى من اللَّه (تعالَى) عليه ، بلْ عينُ شُكْرِه نعْمَةٌ أُخْرى وراءَ النِّعْمَةِ الْمَشْكُورة ، وإنَّمَا أَحْسَنُ وُجُوه الشكْرِ لِنِعَمِ اللَّه (تعالَى) ألاَّ يَسْتَعْمِلَها في مَعَاصِيه بل في طَاعَتِه ، وذلك أيضًا بتَوْفيقِ اللَّه وتَيْسيرِه في كَوْنِ الْعَبْدِ شَاكرًا لربِّه» .

ولعلَّ هذا النَّصَّ للإمامِ الْغَزالِيِّ يوضِّحُ أنَّ الإنْسَانَ مهما شكَرَ للَّه (تعالَى) وأثْنَى عليْه ، فإنَّ ذلك لا يُوفِّي اللَّهَ بعْضَ ما أنْعم به على عباده .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألُك أنْ تجعَلنا من عبادكَ الشَّاكرين الذَّاكرينَ الطَّائعينَ الْمُطيعينَ ، وصلِّ اللَّهُمَّ على مُحَمَّدٍ في الأوَّلينَ وفي الآخِرينَ وفي الْمَلأ الأعلى إلى يومِ الدِّينِ .

رقم الإيداع : ١٤٦٩٠
الترقيم الدولي : ٩٧٧-٢٦٦-٣٥٩-٧